



---

## الفقدان الغامض: تطبيقات حديثة وإضافات نظرية

---

Tai J. Mendenhall and Pauline Boss / تاي جيه ميندنهال وبولين بوس/

فصل من كتاب **Sourcebook of Family Theories and Methodologies**

Tai J. Mendenhall, Pauline Boss , Ambiguous Loss: Contemporary Applications and Theoretical Extensions , Sourcebook of Family Theories and Methodologies A Dynamic Approach , Springer Nature Switzerland AG 2022 Pages 513-529

بدأت في السبعينيات جهودنا في علوم الأسرة والعلاج الأسري لتوضيح فقدان الغامض وفهمه، عندما سعت بولين بوس-كطالبية الدراسات العليا- لفهم الآباء «الغائبين نفسياً» في العائلات المترابطة (للاطلاع على روايات 2016). واصلت جهودها في بداية حياتها المهنية في بحث يستهدف موجزة لهذا العمل، انظر بوس، 2000، تجارب أسرية في ظل عدم توافق التواجد النفسي أو الجسدي (أو غيابهما) كان في البداية مع أسر جنود **إعتبروا** كمفقودون أثناء حرب فيتنام (بوس، 1977 ؛ 1980) ثم مع أسر جنود مصابين بإختلال عقلي (بوس وآخرون ، 1988 ؛ كارون وآخرون ، 1999) تبعثها خدمات مجتمعية مكثفة مع العائلات التي فقدت أحبائهم بعد أحداث 11 سبتمبر الإرهابية في مدينة نيويورك (بوس، 2003، 2004)، وسعت بوس نطاق فقدان الغامض بإصدارها الإرشادات التوجيهية في الأسرة والمبادرات الاجتماعية (بوس، 2006) في الوقت نفسه، نشرت **دراسات** حديثة للفقدان الغامض وطرق التعامل معه مع عامة القراء من خلال النصوص غير الأكاديمية (على سبيل المثال، بوس، 2000 ، 2011). طوال هذا الوقت، أعادت بوس التأكيد على حتمية وجود علاج للفقد **المجهول طبقاً** لنظرية أو نموذج الضغوط العائلية بدلاً من النموذج الطبي (أو النماذج الطبية) الذي يفترض أن الحلول النهائية ممكنة (بوس، 1987 ؛ بوس وآخرون، 2017).

شهدت الأربعون سنة الماضية تقدماً مستمراً في الدراسات المتعلقة بعدد لا يحصى من حالات فقدان الغامض - الموضحة أدناه - والتركيز عبر الاستكشاف و التطبيقات النظرية والطبية (بوس ، 1977 ، 1987 ، 1993 ؛ بوس وآخرون ، 2017 ؛ بوس وغرينبرغ ، 1984 ؛ دال & بوس ، 2005، 2020) **وفي هذا الصدد** نسلط الضوء على العناصر والمواضيع الرئيسية **وهذا** الجهد الجماعي - العالمي **المبذول** حالياً.

(✉تي. جيه. مندنغال )

جامعة مينيسوتا ، قسم العلوم الاجتماعية للأسرة والعلاج الزوجي والأسري  
برنامج ، سانت بول ، مينيسوتا ، الولايات المتحدة الأمريكية

ب. بوس

قسم العلوم الاجتماعية للأسرة ، كلية التربية والتنمية البشرية

جامعة مينيسوتا ، سانت بول ، مينيسوتا ، الولايات المتحدة الأمريكية

© Springer Nature Switzerland AG 2022

K. Adamsons et al، الكتاب المرجعي لنظريات الأسرة ومنهجياتها، (محرران) ، [https://doi.org/10.1007/978-3-030-](https://doi.org/10.1007/978-3-030-92002-9)

[92002-9](https://doi.org/10.1007/978-3-030-92002-9) 37

## الفهم المعاصر للفقدان الغامض

لا ينطوي الفقدان الغامض على مفاهيم مباشرة عن الخسارة أو الفقدان (على سبيل المثال، عندما يموت شخص عزيز لدينا ونحزن عليه). ببساطة، هو فقدان غير واضح، ولأنه غير واضح؛ فيظل بلا حل . تؤدي تداخل وقلة المعلومات المصاحبة للفقدان الغامض إلى تجارب أليمة بسبب التناقض والمشاعر المختلطة حول الأشخاص المفقودين. فيمكن لمثل هذه التجارب أن تؤثر سلباً على صحة الأفراد والأزواج والأسر وغالباً ما تقوم بذلك. (Boss, 2016, 2006, 2000; Boss et al., 2017)

## أنواع الفقدان الغامض

يوجد نوعين من الفقدان الغامض محددان في علم النفس . الأولى هي فقدان جسدي غامض - حيث يغيب احد أفراد العائلة جسدياً ولكنه حاضراً وجدانياً لأنهم لم يعرفوا بعد ما إذا كان هذا الشخص حي أو ميت. وتتجلى الفواقد من هذا النوع في حالات الاختفاء التي تحدث بالكوارث الطبيعية مثل التسونامي والأعاصير والفيضانات (مثل بوس وإيشي ، 2015؛ فالك ، 2010؛ مندنهال وآخرون، 2018) أو الكوارث البشرية مثل الاختطاف، Kajtazi-Testa & Hewer 2018 ، الهجرة القسرية، أو الهجمات الإرهابية (مثل بوس وآخرون ، 2003 ؛ ؛ لاستر وآخرون ، 2009). يسمى الكثيرون هذه التجربة «المغادرة دون وداع» (بوس ، 2007 ، ص. 105). إنها لخسارة مؤلمة للغاية للعائلات والأحباء .

يمكن للقرارات المرتبطة بالتعلق بأمل أن الشخص مازال حياً، أو الاستنتاج أنه مات، أن تستمر لسنوات - حتى عبر الأجيال. لدرجة تفرقة العائلات لأن الآراء والرغبات والتصرفات تختلف (في أحسن الأحوال) أو تتصادم (في الأسوأ). أسئلة حول كيفية إقامة جنازة لأحد أفراد أسرته بدون جثة لدفنها أو حرقها، وكيفية قضاء العطلات وتأدية الطقوس الآن، وكيفية التحدث عن المفقود مع الآخرين (التحدث بصيغة المضارع أم الماضي) يزيد المعاناة والتحديات التي لا تنتهي والتي يجب علي العائلات التعامل معها.

أما في حالة الفقدان النفسي الغامض، يكون شخصاً عزيزاً حاضراً جسدياً، لكنه غائباً نفسياً. مثل هذه الفواقد توصف بأنها «وداعاً دون مغادرة» (بوس، 2007، ص 105) - تتجلى في الظروف التي يتأثر فيها أحد أفراد الأسرة بالخرف أو إصابة الدماغ الرضحية أو تعاطي المخدرات/الإدمان أو مرض عقلي خطير ومزمن (بوس ، 2011 ؛ كولينز وكينيدي ، 2008 ؛ لاندواو & هيسيت ، 2008 ؛ بيريرا وماكجواير ، 2018 ؛ رايلي ، 2016 ؛ ريفربانك هاوس ، ، 2017). يمكن أن يكون أيضاً مؤلماً لأفراد الأسرة عندما ينظر إلى عيون أحد الوالدين المسنين ولكن الشعور بأن والدهما لم يعد حقاً موجود بعد الآن مثلاً، قد يشعرون أيضاً بهذا عند محاولة التعامل

مع الأحباء الذين يعيشون في خضم إدمان الكحول ، متذكّرين كيف كانت الأمور قبل الإدمان -الذي أخذهم بعيداً-.

## لماذا الفقدان الغامض مؤلماً ؟

كلاً من هذين النوعين من الفقدان (الضغوط) تؤدي إلى بناء إدراكي يسمى غموض الحدود. الغموض يعني الإبهام (قلة الوضوح) بشأن موقف ما يزال غير مؤكد. يتجسد هذا في عدم معرفة من ينتمي أو لا ينتمي لعائلة الفرد و الحفاظ على إختلاف مفاهيم الفرد الخاصة وباقي أفراد عائلته حول الإنتماء للعائلة (بوس، 2019 ؛ دال بوس، 2020). فعلى سبيل المثال أفراد عائلة الشخص المفقود يتحرقون شوقاً لأي تأكيد -حتى خبر وفاته- & حتى يتخلصوا من ألم عدم معرفة حقيقة موت أحد أفراد عائلتهم. رجل متزوج من امرأة غائبة الجسد أو العقل قد يتساءل عما إذا كان لا يزال متزوجاً، خاصة إذا كان الوضع مستمراً لسنوات كيف يستطيع الزوج المهجور أن يتجاوز التحديات الأسرية - كالأطفال الذين يعتبرونهم مازالوا متزوجين- عندما يقرر البحث عن شريك جديد ؟

يؤدي غموض الحدود بشكل شبه دائم إلى الشعور بالتناقض. يُعرف التناقض بالتعارض أو التردد أو المشاعر المضطربة. ذو بالين (على سبيل المثال، محبة وكرهية شخص في نفس الوقت). إنهم يتمنون «إنهاء الأمر» (على سبيل المثال، تمنى وفاة أحد الوالدين المصابين بمرض عضال)، والشعور بالذنب حيال مثل هذه الأمنيات (والأمل في أن يعيش هذا الوالد). تميل معاناة التناقض إلى شل حركة الأفراد والأزواج والأسر في إتخاذ القرارات (على سبيل المثال، ما إذا كان يجب إقامة جنازة أو الزواج مرة أخرى، كما وضح سابقاً) والحداد، إلى جانب عدد لا يحصى من الضغوط الأخرى متعددة النظم والأجيال.

## الأثار السلبية المرتبطة بالفقدان الغامض

لطالما تم إدراك أن الأثار السلبية تؤثر على أولئك الذين يعانون الفقدان الغامض سواء كانت بيولوجية أو نفسية أو اجتماعية أو روحية.

بشكل فردي، تشمل هذه الأثار مشكلات مثل الأرق والصداع وخلل في عمل جهاز المناعة والاعتماد على المواد الكيميائية والاكنتاب والقلق ( بوس & كوندان، 2002؛ بوس واخرون 1999؛ سوبل & كونوان 2003). وهذه بدورها تؤثر على سلوك الزوجين والأسرة: صراعات شخصية و فسخ العلاقات والطلاق (بيترز & ثروجان؛ بوس، 2019 ؛ هوبنر وآخرون، 2017). وتؤدي العزلة الاجتماعية إلى تفاقم مثل هذه الأعراض في علاقتهم وإحتمال عدم قدرتهم على العيش أيضاً (بوس & كارنز، 2012 ؛ بوس & دال 2014) .

إن العمليات المتكررة المصاحبة للغموض والتناقض يمكن أن تؤدي أيضاً إلى أزمات إيمانية ؛ على سبيل المثال، إذا كان الله العليم بكل شئ الودود المتين، فكيف يمكن لهذا الوضع أن يحدث؟ (بالدوين، 2018). نظراً الأثار الروحية والنفسية الحيوية التي لا يمكن حصرها ، يعتبر المصابين والأطباء الفقدان الغامض أشد أنواع الفقد إليماً .(بوس، 2016 ؛ بوس وآخرون، 2017).

### تطبيقات حديثة للفقدان الغامض في العلوم التجريبية

ويرد أدناه وصف للتطبيقات المعاصرة لنظرية الفقدان الغامض والاهتمام بطرق البحث ومجالات المحتوى على حد سواء .

### تطوير طرق البحث

قد تطورت طرق البحث المستخدمة لتعزيز إدراك الفقدان الغامض إلى حد كبير بمرور الوقت، و قد أصبح فهم الفقدان الغامض أكثر تعقيداً مع ازدياد دقة العلماء في التمييز بين الغموض (أي عدم الوضوح) والتردد (أي المشاعر المتضاربة)، وبين الفقدان الغامض كحدث أو موقف مرهق، والغموض الحدودي باعتباره إدراك الفقدان الغامض في حد ذاته. (بوس، 1977 ،بوس & دال 2020). (بوس 2007 ، 2016؛ بوس وآخرون، 1990، 2017).

يجب ملائمة القرارات المتعلقة بإحتمالية وكيفية استخدام الأساليب النوعية أو الكمية أو المختلطة في البحث عن الفقدان الغامض مع متطلبات الموقف. لخصت بوس وآخرون(2017) هذه الأساليب وسردت المقالات التي قدمها الباحثون المشاركون في هذا الموضوع . العديد من الدراسات قد تم تطويرها بفعالية من خلال النظرية وتحليل المحتوى والبحث السردي والنهج النسوي أو أي منهم. على المتجذرة و علم الظواهر (الفينومينولوجي) المستوى الاجتماعي فإن الدوائر الحوارية، الملاحظات الإثنوغرافية، والبحث المجتمعي التشاركي لا تزال مجالات لم تتطرق لها الدراسة.

يمكن (ويجب) أن يتم إجراء هذه الجهود بنطاق طولي، لفهم أفضل لكيفية تغير الإدراك الشخصي والتفاعلي وعمليات التكيف مع مرور الوقت والمكان. يجب أن تشمل هذه الجهود أيضاً مجموعات من مختلف الثقافات ، والأعراق ، والأعمار ، والطوائف الدينية ، والتوجهات الجنسية / الهويات الجنسية ، والمراكز الاجتماعية. ستوفر المعرفة المكتسبة من خلال هذا العمل رؤى جديدة وأسئلة بحثية وفرضيات لتحسين فهم الأفراد والشركاء وأفراد الأسرة وقادة المجتمع والأطباء، والمعلمين في رحلاتهم الخاصة ورحلات الآخرين.

من ناحية أخرى ، فإن غموض الحدود مناسب بشكل خاص للبحث الكمي ، حيث أنه من الأسهل تعريفه من خلال الأدوار (بوس 2016، بوس واخرون 2017). تم تطوير مقاييس تستهدف هذا الظاهرة منذ عدة سنوات (بوس واخرون 1990) وقد تم تطويرها واستخدامها ونشرها بشكل أكبر. تم تحديد علاقات بين نقاط التركيز الرئيسية ، على سبيل المثال ، بين غموض الحدود في الآباء الذين لديهم أطفال يعانون من مشاكل صحية حادة أو مزمنة واضطراب نفسي(بيرج & هولم ، 2007، مو واخرون 1997). ومع ذلك ، لا يزال هناك حاجة إلى مزيد من البحث لتحديد المسارات بين غموض الحدود وخسائر الأدوار والتحويلات.

البحث المنهجي المختلط (أي استخدام كل من الأساليب النوعية والكمية في نفس البحث) مهم أيضًا .

بينما تتميز التحليلات النوعية في فهم التجارب الشخصية والثرية والمعاصرة للفقدان الغامض ، فإن التحليلات الكمية ستعزز العمومية .

أي أن البيانات و الملاحظات مطلوبة للتحقق من أنماط تفاعل الأسرة (القواعد و الأدوار و الطقوس، من بين أمور أخرى) و نقاط القوة و الضعف الفردية. قد يحتاج الفرد إلي علاج لأعراض مثل المرض الجسدي او التفكير الانتحاري، بينما الأسرة ككل قد تحتاج إلي علاج للفاعلات المحظورة و الديناميكيات المجمدة . بالنسبة لكل من الباحثين و المعالجين، يجب أن يشمل الفهم الكامل لتأثير الخسارة الغامضة علي مستويات التقييم الفردية و العائلية.

### الاختبار و إعادة الصياغة

بدأت الدراسة الأولى لحالة الخسارة الغامضة مع احتمال وجود غموض عالي الحدود في عام 1971 مع عائلات الولايات المتحدة. جنود مفقودون في المعارك في فيتنام و لاوس. وبعد ذلك، درست مع زملائي أسر الأطفال المفقودين، و عائلات المراهقين الذين يغادرون المنزل، و الأسر التي فقد فيها شخص ما نفسيًا بسبب مرض الزهايمر أو أمراض عقلية مزمنة أخرى. استمر التطوير النظري مع قياس الكتابات. اختبر باحثون آخرون النظرية بالتبني و الطلاق و الإدمان و التوحد و الإجهاض و الأطفال المولودين ميتًا و المثليين و المثليات الذين يعانون من مشاكل عائلية، و الرعاية بالتبني و التبني و السجن و إصابة الدماغ و الهجرة و الخسارة الثقافية. في و الآونة الأخيرة، يستخدم الممارسون العمل النظري بشأن الخسارة الغامضة لفهم و تعزيز العمليات الأسرية المرونة بطريقة أفضل في أعقاب الإرهاب و الحرب لمنع الأعراض التي غالبًا ما تتبعها: العنف الأسري، و تفكك الأسرة، و الاكتئاب، و الإدمان.

## نظرية الممارسة: العمل مع الأسر

### الاجتماعات العائلية كتدخل

بالتعاون مع مينيسوتا و نيويورك، قام الأطباء و المهنيون النقايبون و قادة الأسرة بتنظيم و عقد اجتماعات عائلية باعتبارها التدخل الرئيسي لأسر المفقودين. تم تعريف العائلات بنفسها و غالبا ما كانت تتألف من عدة أسر، مثل الأجداد و العمات و الأعمام، جنبًا إلى جنب مع زوج و أطفال العامل المفقود. بعد تدريب المعالجين المتطوعين، كان هدفنا الأول هو توفير بيئة آمنة و مألوفة حيث يمكن لعائلات المفقودين الاجتماع في المجتمع و التحدث معًا. تم اختيار قاعة نقابة العمال. قدم الاتحاد الطعام للعائلات و الزهور للطاولات لأننا جميعًا كنا بحاجة إلى رؤية شيء جميل. (كان الدخان من مرثيا من نافذة الغرفة التي التقينا فيها).

العديد من العائلات لا تتحدث الإنجليزية ، لذلك استعنا بالأطباء من مجتمعاتهم الثقافية. كان المعالجون الناطقون بالإسبانية من مركز روبرتو كليمنتي مفيدون بشكل خاص. اتبعنا مبادئ توجيهية تعتمد على التطوير النظري السابق. و باختصار، أطلقنا على الحالة اسم الخسارة الغامضة؛ و تطبيع التوتر و الارتباك و التناقض؛ مهد الطريق لأفراد الأسرة للاستماع و تصورات و قصص كل منهما عن الشخص المفقود؛ و ساعدت الأسر على إعادة بناء الأدوار و القواعد و الطقوس. كان الهدف طويل الأمد هو أن يجد أفراد الأسرة بعض المعنى (بخلاف لوم الذات) حول الخسارة و الغموض. وبالنسبة للكثيرين، كان المعنى في البداية هو أنه لا معنى لحالة الخسارة هذه.

تحركت الاجتماعات العائلية الأولى ببطء، ولكن في النهاية بدأ أفراد الأسرة في تبادل تصوراتهم مع بعضهم البعض عما حدث. روى البعض القصص؛ و تكهن آخرون بمكان وجود أحبائهم. لا يزال آخرون يخبرون عن رؤيتهم للشخص المفقود يصعد إلى الرصيف أو يتحدث معه في الليل أو يراه في حشد من الناس. نحن لم نمرض مثل هذه التقارير. تجادلت العائلات حول ما إذا كانت ستقيم جنازة بدون جثة، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف تفعل ذلك. يكرر المعالجون باستمرار، (لا بأس إذا لم تروها جميعًا بنفس الطريقة الآن). و تم تطبيع التصورات المختلفة و تغذية التسامح. شجعنا نحن على الاحتفال المستمر بأعياد الميلاد و الأعياد، و ساعدنا العائلات على مراجعتها بدون الشخص المفقود. تم اكتشاف أسرار العائلة و مناقشتها. على سبيل المثال، ساعد المعالجون الأب في ممارسة كيفية إخبار أطفاله الذين يعيشون في بلد آخر أن والدتهم مفقودة و من المحتمل أن تكون ميتة. حررت المحادثة بين البالغين في مجموعات عائلية متعددة الأطفال للعب على الطاولة الفنية مع أقرانهم.

احترامًا للعائلات، تم إيقاف ترجمات المعالجين الناطقين بالإسبانية و تدريبهم. مع هذا التحول الحرج ، شعرت العائلات براحة أكبر و تفهموا بسرعة أكبر أن ما كانوا يشعرون به له اسم، وأنه ليس خطأهم، و أن الغموض تسبب في تناقض طبيعي و صراع مفهوم.

وقد أدى بهم معرفة ذلك إلي البدء في سرد قصصهم الخاصة و التفاعل مع الآخرين بلغاتهم الخاصة. في وقتٍ بتطبيع مشاعر أفراد الأسرة من الغضب و الارتباك و العجز و التناقض، وبعد بضعة مبكر، قام المعالجون لا البعض في مجموعات عائلية متعددة المجالات. و استمر العديد منهم في اجتماعات، رأينا الأسر تفعل ذلك لبعضها التفاعل في الأحياء الخاصة بهم .

استمرت اجتماعات المجموعات العائلية المتعددة في قاعة اتحاد نقابات العمال شهريًا ثم استمرت مرة كل شهرين علي مدار العام بعد أحداث 11 سبتمبر. العائلات العائدة في كثير من الأحيان تأتي مع عائلات جديدة، قائلة، "يجب أن يكونوا هنا".

تم إحضار أم شابة و أطفالها من قبل الأصدقاء لأنها اكتشفت أن زوجها المفقود كان له زوجة أخرى في بلد آخر، وكانت مشاعر الخيانة والغضب، بالإضافة إلي الحزن، تشل حركتها. جاءت أيضًا العائلات التي لم تخبر أطفالها بعد أن من المحتمل أن يكون الأب المفقود قد مات. كان الأمر كما لو أن العائلة العائدة تعرف ما هو مطلوب. قبل حلول الذكرى السنوية الأولى لهجمات الحادي عشر من سبتمبر، طلب الآباء و الأمهات الذين فقدوا أزواجهم مراقبة معالجين محترفين يتحدثون مع أطفالهم في إطار مجموعة حتي يتمكنوا من تعلم كيفية التحدث بشكل أكثر فعالية عن الخسارة معهم في المنزل. تعلم الآباء المفقودون، غير المعتادين علي العلاج ، من الملاحظة كيف يتحدثون مشاعر الحزن و الأسى مع أطفالهم. بكى العديد من الآباء و الاطفال لدروس اللغة الإنجليزية والتدريب على الوظائف في الأحياء الخاصة بهم. قررت العديد من الأمهات تقاسم الشفق لتوفير الإيجار و تكاليف رعاية الأطفال. فتجمع كل من الاجداد، الجدات، العمات، و الأعمام للمساعدة. ولكن قبل كل شيء، ارتبط الآباء الأرامل ببعضهم البعض وشكلوا مجتمعًا للعمل و أملاً جديدًا. (اعتبارًا من فبراير 2004، تتواصل الاجتماعات العائلية في قاعة الاتحاد، ولكنها تبدأ من قبل العائلات أكثر من المهنيين، مع التركيز في المقام الأول علي المتعة العائلية و الأنشطة الاجتماعية، بما في ذلك الرقص و تكوين الأسرة). لم أكن أتوقع مثل هذا الأداء الصحي قريبًا لما قد يسميه الكثيرون العائلات ذات خطورة عالية. لقد أثار عقلي العمل مع عائلات النقابات

العمالية في نيويورك و أعطاني فضولاً و رؤى جديدة حول مرونة الأسرة. تستمر الاجتماعات بشكل دوري اعتبارًا من كتابة هذه السطور، ولكنها الآن تتخذ نبرة مجتمعية أكثر و أكثر ترفيهية في كثير من الأحيان. كادر المعالجين المرنين في نيويورك الذين عملوا على مشروع الخسارة الغامضة منذ بدايته الفوضوية بعد أن استمر دعم هذه العائلات النقابية عند /كتبت الطلب . قد يقول أنه هلى مستوي ما ، أصبح المعالجون جزءاً من المجتمع أيضًا



## انعكاسات في الخسارة الغامضة منذ 11/9

يعد التفكير الدوري جزءًا مهمًا من أي مشروع تطوير نظري مستمر، ولكنه كان ضروريًا بهد تحدي اختبار ميداني مثل نيويورك بعد 11/9. فيما يلي 12 انعكاسًا حول الخسارة الغامضة التي تشير إلي اقتراحات جديدة و افتراضات لمزيد من الدراسة. (وقد أثبت عملي الاخير في كوسوفو في لجنة الصليب الأحمر الدولية هذه الانعكاسات )

1. يميل العديد من المهنيين إلي اعتبار أفراد الأسرة الذين يعتقدون أن الأشخاص المفقودين ما زالوا علي قيد حياة أمرًا غير عقلائي و مرضي .

بدا المحترفون غير مرتاحين لعدم وجود طريقة لتوضيح الغموض المحيط بالخسارة. رأى الكثيرون أن الفشل فشلهم المهني، أو مقاومة العملاء، لذلك شعروا غالبًا بعدم الفعالية و الإحباط. نفذ صبر في إيجاد إغلاق هو الكثيرين مع العائلات التي ظلت تأمل، على الرغم من أهمية أن يستمع المرضي إلي قصتهم بصبر و دون حكم. في الواقع، كانت الروايات مروعة و يصعب سماعها، لكن مهمتنا كانت الاستماع بتعاطف، حتي لو بدت القصة غير عقلانية بالنسبة لنا. بالمعني الاجتماعي، قصة خسارة الشخص ليست حقيقية ، و بالتالي لا يمكن حلها ، حتى يكون حقيقية، و بالتالي لا يمكن حلها، حتي يكون شخص ما علي استعداد لسماعها.

علم المحترفون بسرعة الفرق بين الخسارة العادية، والتي تسمح لعملية الحزن بالمضي قدمًا، و الخسارة الغامضة، والتي لا تفعل ذلك. تدريب المعالجين على استخدام نهج وقائي لتحقيق التوازن بين نماذجهم الطبية لاضطراب ما بعد الصدمة و الحزن المعقد ، ساعد المعالجين على أن يصبحوا أكثر صبرًا و أقل أمراضًا مع العائلات التي تم منع حزنها بسبب الجاني الخارجي للغموض .

2. يخبرنا الآباء و المراهقون و الأطفال أن سماع القصة و رواية القصة عن الشخص المفقود يساعد في بدء عملية الشفاء. دمجت التقاليد السردية التي استخدمناها في الاجتماعات العائلية الأفكار من "العلاج بالتحدث" الأوروبي مع التقاليد القبلية لرواية القصة . فكننا بدمج أفكار سيجموند فرويد كلاين (1948) و نيلسون مانديلا (2002) لتعزيز الشفاء؛ نظرًا للتدريب المتنوع و المعتقدات الثقافية للمعالجين في فريقنا بين مينيوسا و نيويورك، بالإضافة إلي التنوع الهائل للعائلات. أي إننا جمعنا الأفكار من تقاليد العلاج بالتحدث الأوروبية و نظرية العلاقات الكائنية مع التقاليد القبلية الأصلية لسرد القصة من أجل علاج الصدمات و الخسارة. ملاحظة مهمة هي أن هذا ليس استخلاص المعلومات التقنية، في حد ذاته، ولكن ببساطة سرد القصة في بيئة مجتمعية مألوفة.

بدأنا الاجتماعات العائلية بتشجيع البالغين و المراهقين و الأطفال على مشاركة قصة عن أحد أفراد أسرهم المفقودين، و طلبنا من أفراد الأسرة الاستماع إلي وجهات نظر بعضهم البعض المختلفة. إذا بدأت قواعد "عدم

التحدث" المدمرة في التطور في المنزل و اعتقد الأطفال أنهم لا يستطيعون التحدث عن والدهم أو قريبيهم المفقود خوفاً من جعل أحد الوالدين يبكي، يبدو أن سرد القصص يكسر المأزق. واجه البالغون أيضاً صعوبة في سرد قصتهم في حضور أطفالهم خوفاً من جعلهم يبكون. ولكن في بيئة جماعية، كان من الأسهل على البالغين و الأطفال العثور على الدعم وبالتالي التغلب على الإحجام عن التحدث أو التعبير عن المشاعر. ومع ذلك، غالباً ما يفضل المراهقون طرقاً مختلفة للتعبير. على سبيل المثال، ثلاث فتيات مراهقات كان والدهن مفقوداً لم يروين قصصاً، لكنهن عرضن غناء العديد من الأغاني عن الشجاعة و التغلب على الخسارة. لقد غنوا كابيللا للآباء و الأطفال في قاعة الاتحاد ، و لاحظن من الخطوط الجانبية أن قصتهم المنطوقة تهدئ المغنيين و المستمعين على حد سواء.

3. الأكثر فائدة هو تجميع العديد من العائلات معاً في بيئة مجتمعهم المألوفة، و الجلوس في دوائر، حتي يتمكنوا من سماع قصص بعضهم البعض و تكوين روابط من خلال التجربة المشتركة.

أثبتت الاجتماعات العائلية المتعددة في قاعة النقابات العمالية أنها تدخلات داعمة للغاية لمساعدة الآباء و الأطفال الباقين على استعادة مرونتهم. يبدو أن العلاقات المجتمعية مع الآخرين الذين يعانون من فقدان أحد أفراد الأسرة تساعد الآباء و الأطفال على المضي قدماً. في الأصل غير تواصل، بدأ المفقود في الاتصال في قاعة النقابة. أولئك الذين وصلوا مكتئين أو غاضبين سيتحدثون فقط مع أقرانهم الذين كانوا يعانون من نفس النوع من الخسارة. "زوجك مفقود أيضاً؟ أنت وحدك الآن مع طفل جديد؟" تم تبادل أرقام الهواتف، و خططوا للالتقاء مرة أخرى في الأحياء الخاصة بهم. ساعدنا الأجداد بعدة طرق في الاجتماعات و تعزيز عملنا في الوطن. يتطلع الأطفال إلي الاجتماعات المستقبلية و الروابط التي تتم مع الأطفال الآخرين الذين لديهم والد مفقود. (ملاحظة: لا تزال الاجتماعات العائلية المتعددة مع فريق المعالجين مستمرة في هذه الكتابة، ولكن بشكل أقل تكراراً و بناء على طلب العائلات.

4. يمكن للناس العاديين فهم نظرية الخسارة الغامضة ويمكنهم تطبيقها بمفردهم لفهم المواقف الجديدة بشكل أفضل.

عندما رأيت السيدة س لأول مرة، كان ذلك بعد شهر من 11/9. كان زوجها مفقوداً. جاءت إلي اجتماع العائلة مع أطفالها البالغين و أطفالهم و شقيق زوجها المفقود. جلس ثلاثة عشر حول طاولة عائلاتهم في قاعة النقابة. قررت يكن لديهم جثة السيد س، فقد دفنوا جيتاره بدلاً من ذلك. كانوا بحاجة لدفن شيء م العائلة إقامة حفل تأبين، ولكن لم لموس. بعد عام، في ذكرى 11/9، رأيت السيدة س مرة أخرى، و أشارت لي أن آتي إلي طاولتها. فعلت ذلك، و أخبرتني بلغة إنجليزية مكسورة، "الآن لدي خسارة غامضة أخرى".

سألت ما هو، وباللغة الإسبانية، طلبت من ابنتها أن تترجم: "ابنتي الكبرى ابتعدت عني الآن. لم تعد تتصل بي أو تأتي لرؤيتي بعد الآن. قالت إنني كنت حزينة على هذا الزوج أكثر مما حزنت على والدها (الذي كان زوجي

الأول)، لذلك لم تعد تريد رؤيتي بعد الآن". عادت السيدة س إلي اللغة الإنجليزية و سألتني، "أليست هذه خسارة غامضة أخرى؟" قلت، "نعم، أنتِ على حق".

باستخدام النظرية كدليل، يمكن للأشخاص العاديين مثل السيدة س بالفعل تحديد المواقف الجديدة و وصفها بأنها خسارة غامضة.

بمعرفة المشكلة، يمكنهم طلب المساعدة قبل حدوث ضرر دائم في العمليات العائلية. و اعترافًا بالمشكلة، استطاعت السيدة س أن تطلب مساعدة أكثر تحديداً لتخفيف خسارة غامضة ثانية.

5. الخسارة الغامضة ليست مشكلة لكل أسرة أو فرد من أفراد الأسرة. يتمكن بعض الأفراد و الأسر من العيش مع خسارة غامضة دون آثار سلبية.

تنوعت الأسباب، أولاً، على الرغم من الحاجة إلي مزيد من البحث، يبدو أن نتيجة حالات الخسارة الغامضة تتأثر بالسمات و نظم المعتقدات. اعتقد بعض الناجين أن وجود أحبائهم في البرجين التوأمين(1) وقت الهجوم كان مقدرًا. فالكثيرون ممن يعتقدون أن ذلك لا يزال يثق بمشيئة الله أن يراهم من خلال معاناتهم. اعتقادًا منهم بذلك، يبدو أن يمضون قدمًا على الرغم من نقص المعلومات.

ثانيًا، يبدو أن بعض الناجين لديهم مستويات عالية من التسامح مع الغموض؛ بسبب سمات الشخصية المتأصلة. كانوا مرنين، وهم يعلمون أنهم نجوا من خسائر غامضة سابقة (مثل الهجرة القسرية). وبالتالي يمكنهم النجاة من هذا أيضًا.

ثالثًا، كان لدى البعض إيمان عميق و ثقة بأن الله سيرشدهم عبر المجهول. وبالتالي كان الغموض المحيط بفقدانهم أقل إثارة للقلق.

و رابعًا، كان السبب الأكثر صلة بالمهنيين الذين يقدمون تدخلًا علمانيًا عبر الثقافات هو أن أولئك الذين بدأ أنهم يقومون بعمل جيد بشكل معقول حتي عندما يكون أحد أفراد أسرته مفقودًا، فعلوا ذلك من خلال (تعلم حمل فكرتين متعارضتين في أذهانهم في نفس الوقت). الفكرتان المتعارضتان: "مات أحبائنا، ربما لا". قال والد كهربائي الذي كان يعمل في مركز التجارة العالمي، "ابني مفقود منذ فترة طويلة- ربما مات، لكنني أشعر أنه هنا معي، وسيظل كذلك دائمًا". كان هذا الأب يحمل فكرتين متضاربتين في ذهنه في نفس الوقت.

قالت أم شابة بعد 6 أشهر من الهجوم، "أنا أمضي قدمًا الآن في حياتي- من أجل الأطفال- لكنني لست مستعدة للتخلي عن الأمل في العثور عليه- جسده". هذا التفكير الجدلي مفيد لأنه يبدأ عملية الشفاء حتي مع استمرار الارتباك. السبيل الوحيد للخروج من اليأس هو التمسك بفكرتين متعارضتين: بشكل متزامن "يجب أن أمضي قدمًا و أنظم الحياة بدون ابني، ولكن في نفس الوقت، يمكنني أن أمل و أتذكر". بالمناسبة، لم يتم العثور علي ابن الأب. ومع ذلك، تم العثور علي زوج الأم الشابة، ولكن فقط جذعه. أخبرتني أن هذا أوضح انه مات، و بالتالي جلبت لها العزاء.

6. طقوس الأسرة و رموزها هي جوهر الحياة الأسرية وهي مفيدة بشكل خاص في إعادة بناء التفاعلات الأسرية عندما تكون هناك خسارة غامضة. في وقت مبكر، كان أحد أكثر التدخلات فائدة هو مساعدة العائلات على مناقشة وإعادة بناء طقوسهم المعتادة و احتفالاتهم العائلية. على سبيل المثال، بعد 11/9، تساءل الآباء من خلال البكاء عما إذا كان ينبغي عليهم السماح لأطفالهم بالذهاب لطلب الحلوى لعيد الهالوين، و ماذا يفعلون في عيد الشكر. على الرغم من أن هذه كانت أسئلة عملية، إلا أنها ترمز إلي العمليات النفسية و البدنية العميقة الحاسمة للحياة الأسرية. اتبع عملنا افتراض إرنست بورغيس (1968): الأسرة هي وحدة من الشخصيات المتفاعلة. وبالتالي، للحفاظ على الأسرة، يجب أن تستمر التفاعلات في شكل روتين و طقوس. في الواقع، ينشأ المعني في عملية التفاعل بين الناس، لذا ساعدت التجمعات و الاحتفالات العائلية المستمرة، و إن كانت منقحة، على الشفاء. و الطقوس في وجود الآخرين وسيلة قوية لتجنب أسرار الأسرة، وبالتالي إحداث تغيير في الأسر. قادتنا هذه النظريات حول التفاعلات العائلية إلي القيمة و المساعدة في مراجعة الطقوس و الاحتفالات العائلية حتي تتمكن العائلات من الاستمرار في التفاعل على الرغم من الخسارة الغامضة.

لماذا تعتبر الطقوس ضرورية في الشفاء بعد الخسارة؟ ساعدت الرموز و الاحتفالات و الطقوس التي يحفز عليها الأشخاص الموثوق بهم في بيئة مجتمعية مألوفة العائلات من خلال الإشارة إلي الإذن بالبداية في الحزن على الرغم من أنه ليس لديهم جسد قدم محافظ مدينة نيويورك شهادات رسمية " للوفاة المفترضة "، مما أعطي الإذن للعائلات بالتوقف عن الأمل و البدء في الحزن .

لحسن الحظ ، عزم بعض الزعماء الدينيين على السماح بالجنازات بدون جسد. ومع ذلك، فضل العديد من العائلات رفض شهادات الوفاة المفترضة، و اختارت أدلة واضحة من اختبارات الحمض النووي على ما يقارب من 17000 من أجزاء الجسم المستعادة .

اختار آخرون طريقة أبطأ للتعامل مع الخسارة و دمجها بمجرد قبول الغموض على أنه " طريقة الحياة ". لا يبدو أنهم بحاجة أو يسعون إلي طقوس الإغلاق لتخفيف الآمهم.

7. يبدو أن توتر الغموض أكبر و أكثر ضعفاً للأفراد والعائلات الموجهة نحو الإتقان و السيطرة.

يبدو أن الأشخاص الذين اعتادوا على الحصول على إجابات، و السيطرة، و القدرة على إصلاح الموقف، و امتلاك الوسائل لحل المشكلات، كانوا أقل قدرة على تحمل الغموض. لقد وجدت صحفيين و منتجين تلفزيونيين و مديريين تنفيذيين و معالجين أيضاً نفذ صبرهم مع العائلات و الأصدقاء و زملاء العمل المفقودين الذين ما زالوا يعانون من الحزن. أرادوا الإغلاق. لقد أرادوا إغلاق باب الحزن و الخسارة، كما لو أن عملية الحزن قد توقفت و انتهت. ربما كان ألم الغموض أكبر من ان يتعاملوا معه، لذلك أنهوه بشكل تعسفي. سُئلت مراراً و تكراراً، "لماذا لا يرون أنه لم يعد هناك أحد على قيد الحياة تحت هذا الركام؟" هذا هو المغزي! ولم يتمكنوا من رؤية جثة؛ لم يتمكنوا من رؤية أحبائهم ميتاً، و تحولوا عما كانوا عليه. بدون مثل هذا الدليل الواضح، ظل الناس يأملون في

بعض المعجزات. وبين الحين و الآخر، ظهر شخص ما على قيد الحياة- في المستشفى أو في بلد أجنبي- مرات كافية لإبقاء مئات العائلات على أمل. كان من الصعب فهم سبب عدم تعاطف الأشخاص المطلعين مع هذا النوع الأكثر صعوبة من الخسارة. ربما تكون فكرة الغموض و التسامح معها غريبة عن أولئك الأقل حظاً و الأقل قوة- غالبًا ما يكونوا لاجئين ومهاجرين ووافدين- يفهمون الغموض كجزء لا يتجزأ من حياتهم .

8. إن تسمية الغموض بأنه جاني خارجي يقلل من لوم الذات و خزي الأسرة.

بعد الخسارة المؤلمة، غالبًا ما يلوم الأفراد و الأسر ككل أنفسهم. "لو كنت قد فعلت هذا أو فعلت ذلك لو أننا قمنا بحمايتها أكثر لو فقط..." مهمتنا العلاجية بعد الخسارة المؤلمة هي إخراج اللوم. قد يعتقد المرء أنه كان واضحًا بعد الهجمات 11/9 أن الإرهابيين الأجانب هم المسؤولون، لكن العديد من أفراد الأسرة مع ذلك شلوا بسبب الشعور بالذنب أو العار أو الغضب من أنفسهم. "لقد تشاجرنا الليلة الماضية التي كان فيها على قيد الحياة". "لم أكن هناك للرد على الهاتف عندما اتصل من البرج المحترق، وكل ما حصل عليه هو بريدي الصوتي". إن تسمية الغموض الخارجي على أنه السبب مفيد لتقليل لوم الذات و العار الأسري، ولكن الخطوة التالية هي زيادة التسامح لعدم وجود إجابة واضحة على الإطلاق.

9. تقييم و علاج اضطراب ما بعد الصدمة غير كافيين و غالبًا ما يكون غير مناسب؛ لأن اضطراب ما بعد الصدمة يختلف من الناحية النظرية وبالتالي الناحية السريرية للخسارة الغامضة .  
تقليديًا، يستهدف علاج اضطراب ما بعد الصدمة الفرد ولا يشمل أفراد الأسرة (على سبيل المثال، الوالد و الطفل و الرفيق و الأسرة الممتدة). إنه غير نظامي، يركز على علم الأمراض و ليس القوة و المرونة. يقوم معالج اضطراب ما بعد الصدمة بتشخيص و علاج الأعراض المحددة (الدليل التشخيصي و الإحصائي للاضطرابات النفسية) للاضطراب الفردي. على الرغم من الحاجة إلي مثل هذا العلاج في بعض الحالات بعد تجربة مؤلمة. إلا أن نهج اضطراب ما بعد الصدمة لا يعالج حاجة المريض للعودة إلي المنزل و استئناف الحياة مع زملائه و الاطفال. كما يخطئ نهج اضطراب ما بعد الصدمة المعاناة المستمرة لوجود شخص مفقود في عائلة ، والآثار الدائمة المحتملة للحزن الفردي و العمليات الأسرية التي يحجبها الغموض . أخيرًا ، لا يميز نهج اضطراب ما بعد الصدمة بين الصدمة الطرفية و التوتر من الخسارة الغامضة، و المرض النفسي لاضطراب ما بعد الصدمة. الأشخاص الذين لديهم أحياء مفقودون مشلولون في مأزق قد يجده حتى الأكثر قدرة منهكًا. إذن، الخسارة الغامضة ليست مرضًا ولكنها حالة إجهاد من المحتمل أن تضعف .

10. ما يصفه العلماء بأنه عائلات "عالية الخطورة" تعمل بشكل جيد و مدهش بعد 11/9، ربما لأننا لم نعتبر مرونتها معرزة من قبل المجتمع ، و خبرتهم المكتسبة من التغلب على الخسائر الغامضة السابقة بدعم من الأسرة الممتدة و الكنيسة و الروابط المجتمعية، وفي هذه الحالة، من اتحاد العمال، إلي مفاجأتنا، ارتدت العائلات بسرعة

نسبيًا. يبدو أنهم يقومون بعمل أفضل من العائلات ذات الدخل المرتفع التي لديها أفراد مفقودون، ربما لأن الأخيرة كانت أكثر عزلة (في منازل الضواحي ذات المساحات بدلًا من المباني السكنية) وأكثر اعتيادًا على الاعتماد على الذات والاستقلال بدلًا من دعم المجتمع والتواصل. هناك حاجة إلي البحث للتحقق من هذا الاقتراح. ربما اعتادت عائلات النقابات العمالية على التضامن الاجتماعي، أو التجمع معًا للبقاء على قيد الحياة، أو اختبار مرونتها و الاستعداد للأزمة التالية. نظرًا لأن العديد منهم كانوا مهاجرين أو عائلات لاجئين، فقد شحذوا بالفعل مهاراتهم في التأقلم ومرونتهم للوصول إلي هذا البلد وإنشاء منزل لأنفسهم و اطفالهم. مهما كان التفسير، فإن هذه المجموعة غير الموحدة من ذوي الياقات الزرقاء التي لم يتم دراستها جيدًا بحثًا عن نقاط القوة (بدلًا من العجز) توفر فرصة للتحقيق في المرونة بمنظور جديد.

9. منذ 11/9، أعظم ما تعلمته هو أن الإغلاق هو أسطورة، ومع ذلك فقد روج له المهنيون الذين ينظرون إلي الإغلاق بعد الخسارة أنه معيار للحياة الطبيعية و دليل على عملهم السريري الناجح. يجب على الأطباء إلقاء نظرة أخرى على هذا المفهوم المريح للغاية للإغلاق. ليس من الممكن أن يكون أحد أفراد أسرته مفقودًا. و دون التحقق من الموت، تتعثر العائلات بشكل مفهوم مع الارتباك حول الأدوار و القواعد و الطقوس و الحدود.

ملاحظة (1): البرجين التوأمين هما مبنين مكتبين شاهقين للغاية في مانهاتن، مدينة نيويورك.